الشَّاعرُ العَقيلِي وتأليفُ المُؤتلفِ
دراسَةٌ في التَّعالُقِ النَّصِّيِّ

دكتورة

عائشة قاسم محمد الشماخي

الأستاذ المشارك ، تخصص الأدب والنقد

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة جازان – السعودية

الشَّاعرُ العَقيلِي وتأليفُ اَلْمُؤتلفِ
دراسَةٌ في التَّعالُق النَّصّيِّ[١]

- **العقيلي مولده ونشأته[٢]:**

محمد بن أحمد العقيلي الهاشمي (١٣٣٦ هـ-١٤٢٣ هـ، ١٩١٦-٢٠٠٢) شاعر ومؤرخ سعودي، مؤسس نادي جازان الأدبي بجازان عام ١٣٩٥ هـ واستمر رئيسًا للنادي حتى عام ١٤٠٠ هـ.ولد العقيلي في صبياء التابعة لمنطقة جازان جنوب المملكة العربية السعودية عام ١٣٣٦ هـ الموافق ١٩١٦م، ودرس على يد المدرس محمد خميس باجبير في صبياء، ثم قرأ على يد والده مبادئ الفقه والنحو، ثم درس على يد الشيخ أحمد الأهدل بصبياء ثم درس في حلقة الشيخ عقيل بن أحمد بجازان.

عمل العقيلي في وزارة المالية فرع جازان عام ١٣٥٦ هـ وتنقل في إداراتها المختلفة حتى وصل إلى مرتبة مدير قسم الإيرادات عام ١٣٦٩ هـ، وفي عام ١٣٧٧ هـ اختير العقيلي للعمل بدار الأيتام بجازان، ثم التحق بمكتب العمل للعمل به، اختير العقيلي أيضًا عضو بالمجلس البلدي والمجلس الإداري بجازان، وفي عام ١٣٩٥هـ أسس العقيلي نادي جازان الأدبي، واستمر رئيسًا له حتى عام ١٤٠٠هـ، وقد منح العقيلي في مؤتمر الأدباء السعوديين الأول في مكة المكرمة عام ١٣٩٤ هـ الموافق ١٩٧٤ ميدالية الريادة الذهبية للرواد السعوديين، وقد أهدى مكتبته الخاصة لجامعة الملك سعود بالرياض عام١٤٠٨هـ /١٩٨٧م.

للعقيلي الكثير من المؤلفات من كتب الأدب والشعر والتحقيق ما يتجاوز الثلاثين كتابًا منها:

١- ديوان شعري بعنوان الأنغام المضيئة عام ١٣٩٢ هـ.

٢- ديوان شعري بعنوان أفاويق الغمام عام ١٤٠٢ هـ.

---

[١] دكتورة: عائشة قاسم محمد الشماخي، الأستاذ المشارك، تخصص الأدب والنقد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة جازان – السعودية.

[٢] انظر ترجمته: العقيلي، محمد بن أحمد، المجموعة الشعرية الكاملة، الرياض ١٤١٣ هـ، والشافعي، خالد بن ربيع، شعر محمد بن أحمد العقيلي (دراسة تحليلية)، نادي جازان، السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ/، ٢٠٠٤م، ومعجم البابطين، وغيرها.

٣- ديوانين السلطانين دراسة وتحليل وتحقيق عام ١٣٧٤ هـ.

٤- الشاعر الجيزاني ابن هتيمل دراسة وتحليل وتحقيق عام ١٣٨٠ هـ.

٥- الشاعر الجيزاني ابن شاجر دراسة وتحليل وتحقيق عام ١٣٨٥هـ.

٦- نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود لعبد الرحمن بن أحمد البهكلي.

٧- الحسن بن أحمد بن عاكش تحقيق ودراسة عام ١٤٠٢هـ.

٨- المخلاف السليماني في التاريخ السياسي والاجتماعي ثلاثة أجزاء عام ١٣٧٨ هـ.

٩- التصوف في تهامة دراسات عام ١٣٨٩هـ.

١٠- المعجم الجغرافي عن منطقة جازان عام ١٣٨٩ هـ.

١١- الأدب الشعبي في الجنوب دراسات ونصوص عام ١٣٨٩ هـ.

١٢- الآثار التاريخية في منطقة جازان عام ١٣٩٩ هـ.

١٣- أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان عام ١٤٠٠هـ.

١٤- معجم اللهجات المحلية دراسات لغوية مقارنة عام ١٤٠٣ هـ.

١٥- سوق عكاظ في التاريخ عام ١٤٠٤ هـ.

١٦- الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته العلمية والعملية عام ١٤٠٤ هـ.

توفي – رحمه الله - في مستشفى الملك فيصل التخصصي بجدة عام ١٤٢٣ هـ الموافق ٢٠٠٢ عن عمر يناهز ٨٦ عامًا.

ويُهيمنُ التراث الشعريّ العربي هيمنةً كبيرةً على الشاعر محمد بن أحمد العقيلي في نصوص مجموعته الشعرية الكاملة، فما من قصيدةٍ من قصائده إلاّ وتُصغي فيها لأصداء تتجاوب ما بين أبياتها لقصائد من التراث أو لأبيات من هذه القصائد. وحين تحاول أن تضع يدك على التعالق النصّيّ في هذه القصائد تعود يدك خلوًا مِمَّا يُجدي على هذا الصعيد. فما الذي تُصغي له إذًا؟ وكيف لم يستطع هذا الذي تناهى إليك من أصداء أن يصنع تعالقًا نصيًّا جديرًا بالدراسة؟

سؤالان يطرحان نفسيهما بقوّة على الدارس، ولابدّ من الإجابة عنهما للتعرّف إلى الآلية التي تمّ بها استلهام التراث الشعري عند شاعرنا، ليكون ذلك بمثابة المدخل للتعامل مع أشكال حضور هذا المستلَهمْ في النصّ الجديد.

التعالق النصي:"هو وجود علاقة ما تربط بين نص شعري وسواه من النصوص الشعرية سواء كانت هذه العلاقة جزئية أم كلية ،إيجابية أم سلبية"[١].

وتتعدَّد مُستوياته حسب نوع التعالق مع الشاعر بوعي كان أم غير وعي، فيتداخل النص مع بقية النصوص ويتماهى بعدة أشكال"ولا أجد في مصطلح التعالق النصي ما يمنع من استخدامه كلافتة عريضة وإطار واسع، يندرج ضمنها سائر المصطلحات التراثية المرتبطة بهذا المدلول؛ مثل (المعارضات والنقائض والإخوانيات وسواها)"[٢].

وتأتي تجربة الشاعر الحية الباعث والمحرك على الاتصال والتعالق، وتنفتح انفتاحًا تستيطع فيه التفاعل مع النص السابق القابع في ذاكرة الشاعر المختزلة حتى لو كانت الفترة الزمنية الممتدة ضاربة في عمق الزمن والتاريخ، وتأتي تلك اللحظة التي تفجر تلك الذاكرة عبر سياق الواقعة الشعرية عند الشاعر، فيظهر التداعي وينساب على لسان الشاعر، وتتوهج لديه تلك التجربة وامتياحها من الذاكرة؛ ليتعالق مع النص السابق، مِمَّا يجعل لظاهرة التعالق خصوصيتها في أبعادها الواقعية الصادقة.

- **الصَّدى القريبُ:**

في ظاهرة الصَّدى المدروسة فيزيائيًّا من المعروف نظريًّا في (الفيزياء الرياضية)، وعمليًّا في (الفيزياء التطبيقيّة)، أنَّ الصَّدى حين يكون قريبًا وقويًّا يكون مشوَّشًا ومُشوَّهًا، وأنه حين يصير بعيدًا يصير متناغمًا ومُوحيًا وذا إضفاءات جماليّة على الصوت.

وفي أخبار الشعر والشعراء ثمّة خبر مرويّ عن غير شاعر، يتضمّن نصيحة للشاعر المبتدئ، مفادها أن على هذا الشادي على طريق الشعر أن

---

[١]الهاشمي،د.علوي ظاهرة التعالق النصي في الشعر السعودي الحديث ، كتاب الرياض،العدد٥٢-٥٣ إبريل – مايو ١٩٩٨م ص٢١.
[٢]المرجع السابق، ص٢٢.

يحفظ قدرًا كبيرًا جدًّا من شعر الشعراء المتقدّمين الفحول، ثُـمَّ إنَّ عليه أن ينساه، وبعد ذلك يكون بمقدوره أن يصير شاعراً له صوته الشعريّ الخاصّ. وفي اعتقادي أن مطالبته بنسيان ما حفظ، إنّما هي الآليّة المثلى لتصير أصوات من حفظ لهم بعيدة عنه، ويصير صداها إذا ما تناهى شيء منه إليه في أشعاره موطنَ جمال، لا ملتقى لشذرات مترامية منه، تتسلل إلى شعره عن قصد وعن غير قصد.

في الحالة الأولى تنحلُّ خيوطُ ما حفظ، وتنحلُّ أصباغها ولويناتها لغةً وخيالاً وموسيقى في ذائقته وقريحته وأحوال نفسه ومضطرَب فكره، فتحضر إذا ما حضرت متجانسة مع ما لديه، في معالجات جديدة، يقتضيها قول مختلف. ونقع عندئذ على ثوب جديد، يتلامح فيه ما يشي بتلك الخيوط والأصباغ التي صار ردّها إلى أصولها صعباً، ويحتاج إلى جهد نقديّ معمّق ليقبض على النصّ الغائب في النصّ الحاضر.

أمَّا في الحالة الثانية ، فنحن أمام ثوبٍ، يتبدّى فيه؛ على نحو لافت؛ قطع من أثواب أخرى ، جاءت كما لو أنَّها للزينة الخارجية، تُفتِّشُ عن امتداد لخيوطها في خيوط نسيج الثوب فلا نجده. فلا تعالق والحالة هذه، بل قصّ ولصق. وشتّان بين الآليتين.

في نصوص العقيلي ، نحن في الحالة الثانية. فشذرات كثيرة من النصوص القديمة حاضرة في النصوص الجديدة، وتوظيفها خارجيّ، لكأن الذاكرة والاستهواء هما العاملان الأكبران في هذا الصنيع الشعريّ.

من أمثلة ذلك قول العقيليّ في مطلع قصيدته (أبو الشعب) التي أنشدها بين يدي الملك فيصل –رحمه الله- على لسان وفد جازان الذي قدم الرياض مُهنئًا الملك فيصل بسلامة الوصول والعافية بعد إجرائه عملية جراحية في سويسرا، ويأتي الاستهلال بمطلع متفائل من الشاعر العباسي "ابن مقاتل":

هل بالبشرى فقلنا بشريان بأبي الشعب ويوم المهرجان
أوبة الفيصل في عافية زينة التاج وعز الصولجان[1]

[1] العقيلي، محمد بن أحمد، المجموعة الشعرية الكاملة، السعودية ١٤١٣-١٩٩٤م ص٢٩٥.

هـذا البيـت فـي مفرداتـه وتركيبـه ووزنـه وقافيتـه يحيلنـا علـى مطلـع قصيدة لـ(ابن مقاتل)، يمتدح الداعي[٢]، يقول فيه:

لا تقـل بشـرى ولكـن بشـريان غـرّة الـداعى، ويـوم المهرجـان[١]

هـذان البيتـان مُتشـابهان فـي مناسـبتيهما وفـي مضـمونيهما، وفـي لغتيهمـا وموسـيقاهما؛ فمـاذا فعـل العقيلـي؟ إنَّـه لـم يتعـالق مـع الـنصّ القـديم، بـل أخـذ قالبـه ومعظـم محتـواه، ولـم يبتعـد بهمـا عمّـا وظفـا لـه فـي الأسـاس، اللهمّ إلا تبديل طفيف على المستوى اللفظي:

ابن مقاتل:	لا تقل	ولكن	غرّة الداعي
↓	↓	↓	↓
العقيلي:	هلّ	فقلنا	بأبي الشعب

وتبديل أقلّ على مستوى ترابط الجمل الشعرية:

ابن مقاتل: جملة فعلية ابتدائية ← جملة استئنافيّة ← شبه جملة وعطف
العقيليّ: جملة فعلية ابتدائية ← جملة استئنافيّة ← متضايفان وعطف

ومثـل هـذا التبـديل لا يؤبـه لـه فـي مقابـل مـا اسـتجرّه العقيلـيّ مـن بيـت ابـن مقاتـل. أمّـا أن يقـال بـأنّ بيـت ابـن مقاتـل أخـذه العقيلـيّ و«عكسـه مـن صـورة التشـاؤم إلـى صـورة التفـاؤل»[٢]، فهـذا غيـرُ صـحيح، فكـلا البيتـين فـي المـديح، وكلاهمـا فـي الاستبشـار، فمـاذا عكـس العقيلـي؟ الـذي فعلـه هـو أنـه لـم يبدأ بـالنفي الـذي بدأ بـه ابـن مقاتـل، والـذي لـم يـرُق لممدوحـه. فمجـرد الابتـداء بـالنفي لا يعنـي التشـاؤم. ولـو كـان بيـت ابـن مقاتـل فـي التشـاؤم حقّـا، وعكسـه العقيلـي إلـى التفـاؤل لكنّـا أمـام تعـالق نصّـيّ لا يسـتهان بـه. أمَـا والحالة هذه فبيت العقيليّ ترجيع قريب يردّد البيت القديم.

وقـد يتعـالق نـص العقيلـي مـع نـص قـديم ولكنـه لا يفـي بالإيحـاءات والدلالات التي يشتمل عليها تشكيل النص القديم ، كقول العقيليّ:

ترفـق علـى مهـل وبـرهن مـا الـذي نقول فقول المرء مـا لـم يبن هجر؟
أقـول لـه خفـض عليـك فقـد بـدا لعينك ضوء الشمس مـا دونـه ستر

---

[١] الثعالبي يتيمة الدهر (بيروت ،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)،ج١٨٢،١-١٨٣.
[٢] الشـافعي، خالـد بـن ربيـع، شـعر محمـد بـن أحمـد العقيلـي (دراسـة تحليليـة)، نـادي جازان، السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ/، ٢٠٠٤م، ص١١٤.

إذا قلت قولا ردد العصر واحتفت تهادى به الأجيال واحتفل الدهر[١]

بيت العقيلي الثالث مجمل مضمونه متحدِّر من قول المتنبي:

وما الدهرُ إلاّ من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمِّراً وغنّى به من لا يغنّي مغرِّدا
أجزني إذا أنشدت شعراً فإنّما بشعري أتاك المادحون مردّدا
ودع كل صوت غير صوتي فإنّني أنا الطائر المحكيُّ والآخر الصدى[٢]

في كلا البيتين الشاعران يفخران بشعرهما. وفي كلا البيتين يجعل الشاعران الدهر هو الشاهد والحامل لفخرهما.. وكلا البيتين من البحر الطويل. أمَّا على المستوى اللفظي فقد بقي التشابه ماثلاً، على الرغم من أن العقيليّ قد عرّى بيت المتنبي من صوره، واستبدل بها جملاً خبريّة تقريريّة:

المتنبي:	إذا قلت شعراً	أصبح الدهر منشدا	الدهر من رواة قصائدي
↓	↓	↓	↓
العقيلي:	إذا قلت قولاً	احتفل الدهر	ردّد العصر

ويزيد في قصور بيت العقيليّ أن هذا المعنى الذي تضمّنه بيته هو من المعاني الأثيرة لدى المتنبي والذي طالما طرحه مرّة بعد أخرى بأروع الشعر، ثُمَّ إنَّ بيت المتنبي محلّ المقارنة قد جاء ضمن لوحة متكاملة، لا تكتفي بالفخر وحده، بل تفخر، وتمدح، وتهجو، وتدعو إلى أن يُكتفى بصوته[٣].

ويتوغل العقيليّ عميقا في تناصه مع التراث الشعري العربي حتى يصل شعر العصر الجاهلي في بيته الذي يقول فيه :

تسنّمت من رقي العصر صاعدة تخطو رويداً فلا ريث ولا عجلُ[٤]

إنّ ورود الشذرة اللغوية «لا ريث ولا عجل» في هذا البيت تحيلنا على قول الأعشى في معلّقته:

---

(١) المجموعة الشعرية، ص ٣٣ وانظر أيضًا ص ٢١٨،ص٢١٩.
(٢) ديوان المتنبي، دار بيروت ودار صادر، بيروت، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م، ص٣٧٧.
(٣) ديوان المتنبي، ص٣٧٧.
(٤) المجموعة الشعريّة ، ص٢٨٧.

كـأنّ مشـيتها مـن بيـت جارتهـا مـرُّ السـحابة لا ريـث ولا عجـلُ[١]

ولكن ما التعالق النصّيّ بين البيتين؟

نلاحـظ أولاً مـن حيـث الدلالـة أن المعنـى واحـد مسـتقرّ فـي البيتـين، قـوّى وظيفـة هـذه الدلالـة فـي بيـت الأعشـى أنّ هـذه الشـذرة اللغويـة جـاءت بعـد صـورة هـي: «مـرُّ السـحابة» شـبّه بهـا الأعشـى مشـي (هريـرة)، بينمـا جـاءت فـي بيـت العقيلـيّ بعـد «تخطـو رويـداً»، وهـو تعبيـر تقريـريٌّ يفـي وحده بغرض المعنى، وجاءت

«لا ريث ولا عجل» فائضة عن حاجته.

ولعلّ فـي اخـتلاف المناسـبة التـي قيـل فيهـا البيتـان مـا يتـرك أثـر تعـالق، إذ ثمّـة نفـي جزئـي للسـياق الـذي وردت فيـه لـدى الأعشـى، وهـو الغـزل ووصف المرأة، ليحلّ محلّه وصف التقدّم الحضاريّ المتدرِّج.

- **معارضاتُهُ الشِّعريَّةُ:**

نستطيع أن ندرج معظم قصائد العقيلي في باب المعارضة الشعرية إذا أخذنا بالتعريف الذي يرى أنّها «التقاء النصين (المحتذى به) في الوزن والقافية، وليس من المفروض المحتوم التقاؤهما في الموضوع، وإن كان الغالب اتحادهما فيه أيضًا»[٢] فما دام الالتقاء في الموضوع ليس مفروضًا، فيكفي إذاً التماثل في الوزن والقافية، ومعظم قصائد العقيليّ يماثل في أوزانه وقوافيه قصائد تراثيّة من عيون الشعر العربيّ، ينضاف إلى ذلك أن في بعض قصائده أبياتًا تُشابه في نظمها أبياتًا في تلك القصائد المظنون أنّه يعارضها، بل إنَّ في بعضها بيتاً أو أكثر جاء على سبيل التضمين.. فهل كلّ هذه القصائد معارضات شعريّة؟

---

[١] ديوان الأعشى، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص ٢٥٢.

[٢] آل حسين، د. محمد بن سعد، المعارضات في الشعر العربي، دار عبد العزيز محمد آل حسين للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٢٥.

يقول في مطلع قصيدته (إفرست):

أقمة فوق سطح الأرض أم دار؟ أم فرد للدراري فيه أوكار؟!
تناط بالقة الزرقاء شامخة نافت لها فوق هام السحب أوكار
ترنو إلى الفلك الدوار في عظم كأنها كوكب في الأفق سيار[١]

هل نعدّ هذه القصيدة معارضة شعرية لقصيدة الخنساء (كأن عيني فيض لذكراه) التي تقول فيها:

قذى بعينك أم بالعين عوار أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدار
كأن عيني لذكراه إذا خطرت فيض يسيل على الخدين مدرارا[٢]

ويقول في مطلع قصيدته (ملحمة فلسطين):

إنّ الحياة نضال ليس ينقطع ومرتقى لسبيل الخلد ينتجع[٣]

فهل نعدّ هذه القصيدة معارضة شعرية لقصيدة المتنبي التي مطلعها:

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جبنوا أو حدّثوا شجعوا[٤]

ويقول في مطلع قصيدته (من إلهام رحلة باريس):

"باريس" دام سطوعك وبهاك وتعطرت بين الورى ذكراك
مهد الحضارة والثقافة والسنا ومنا إشعاع على دنياك [٥]

فهل يعارض فيها قصيدة (زحلة) لأمير الشعراء أحمد شوقي، والتي مطلعها:

شيّعت أحلامي بقلب باكِ ولممت من طُرُق الملاح شباكى[٦]

---

[١] المجموعة الشعريّة ، ص٣٨٣.
[٢] طماس ، حمدو . ديوان الخنساء.دار المعرفة ،بيروت ،لبنان ،ط ٢ ، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، ص٤٥.
[٣] المجموعة الشعرية ، ص٦٧.
[٤] ديوان المتنبي، ص٣١١.
[٥] المجموعة الشعرية ، ص٥١٥.
[٦] شوقي، أحمد، الشوقيات، راجعه وضبطه د. يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ج١، ص٣٧٨.

وله قصيدة مطلعها :

قبس من أشعة الحق قدسي قد تجلى ببهجة وبأنس[١]

فهو يتأثر بسينية أحمد شوقي ،والتي مطلعها :

اختلاف النهار والليل ينسى اذكروا لي الصبا وأيام أنسي[٢]

كما نجد هذا التأثر أيضا حين يتذكر العقيلي أمجاد المسلمين ،وما حقَّقوه للأمم من نهضة وحضارة غيرت معالم الحياة في فترة وجيزة،فيقول:

نهض الشرق في سناه وقامت دولة فوق قمة النجم ترسي
ملكت ساحل المحيطين قسرا واحتوت قيصرا وثنت بفرس
أسسوا في مشارق الأرض عرشا عربيا وفي المغارب كرسي
نظموها ممالكا وتخوما وحموها بكل درع وترس
أين مأمونها وهارون يجبي كلما أمطر السحاب بيبس[٣]

فالبيت الثالث هنا هو تحوير لبيت شوقي:

أين مروان في المشارق عرش أموي وفي المغارب كرسي[٤]

وهنا يعارض العقيلي أحمد شوقي الذي بكى حضارة المسلمين في إسبانيا عندما نُفِيَ إليها.

كما نجده في قصيدة أخرى بعنوان (مرثية الملك عبد العزيز) التي يقول فيها:

نير قد هوى فرج العوالم وأحال الشموس والكون قائم
فقدته البدور في عالم الشهب وتاهت له السدوم الهوائم
ونعته البروق وانتحي الر يح انتحابا يشق جيب الغمائم [٥]

إذ هي على منوال مرثية شوقي في الملك حسين، ومطلعها:

لك في الأرض والسماء مأتم قام فيها أبو الملائك هاشم[٦]

---

(١) المجموعة الشعرية ص ٣١٣.
(٢) الشوقيات ،٤٥/٢.
(٣) المجموعة الشعرية، ص٣١٦.
(٤) الشوقيات ،٤٥/٢.
(٥) المجموعة الشعرية ، ص٢٥٨.
(٦) الشوقيات ،١١٧/٣.

ونلاحظ التأثر بالمعاني الشوقية يبدو جليا في قصيدة العقيلي في رثاء الملك عبد العزيز :

أي نعش تقله الريح قد سا رت تحييه في السماء الغمائم
سار يحدوه للملائك تسبي ح وفي هالة من النور عائم
تتهادى به الصحابة وفي الخلـ د وأرواح كل حبر وعالم
تباهى به الحنيفة السمحاء والفتح والغزاة الخضارم
آمل المسجدان أن لو رقد ت اليوم في قدسها بتلك المعالمم
وينادي البقيع لوا من الطهـ ر بين الشهيد وقاسم[١]

إلى أن يقول:

ادفنوه بين الأئمة والآ ل حيث الإمام والدين قائم
بين أقطاب ملة طهروا الد ين أزاحوا عن صفحتيه المآثم[٢]

هذه المعاني المبثوثة من خلال القصيدة قد ذكرها شوقي في قصيدته التي رثى بها الملك حسين:

نقلوا النعش ساعة في ربا الف تح وطوفوا بربه في المعالم
وقفوا ساعة به في ثرى الأقم ار من قومه وترب الغمائم
وادفنوه في القدس بين سليما ن وداود والملوك الأكارم
إنما القدس منزل الوحي معتني كل حبر من الأوائل عالم[٣]

ونجده في قصيدة أخرى بعنوان (كنت دار) ،حيث يقول:

كنت يا دار على رغم البلى هيكل الحب ومحراب الهوى
حرما للحسن قد شع على ساحة الطهر وقد حام السنى
طالما رفت قلوب وهفت مهج صوبك في جنح الظام[٤]

---

(١) المجموعة الشعرية ، ص٢٥٨.
(٢) المجموعة الشعرية ، ص٢٦٠.
(٣) الشوقيات ، ١٢٠/٣.
(٤) المجموعة الشعرية ، ص٤٠.

يظهر التأثر بقصيدة(العودة) لإبراهيم ناجي:

درج الـــدهر ومـــا أذكـــر بعـــدك غـــير أيامـــك ياتـــوأم نـــفسي[١]

ويظهر التأثر أيضا بقصيدة نزار في رثاء الملك حسين حيث عارض بقصيدته (مرثية جلالة الملك فيصل الشهيد) التي مطلعها:

غـــاب عـــنا بوجهـــه القـــمران أيـــن مـــن فـيض نـوره الـنيران؟![٢]

كما نجدالعقيلي يعارض قصيدة للغزاوي التي مدح بها الملك عبد العزيز ،ومطلعها:

وافـاك بشـرق فـي أسـماطه جمـلا مـــفصلا كنضـــيد الـــدر منـــتخلا[٣]

إذ يقول الغزاوي في مطلع قصيدته:

دعوتـــه فـــتهامى فيـك ممـــــتثلا وراح يـضرب فـي إشـراقه المـثلا[٤]

وأجيب عن كلّ ما سبق بلا.

فأنـا لا أرى فـي اتفـاق الـوزن والقافيـة فـي ثلاثـة الأمثلـة السـابقة مـا يكفـي لجعـل قصـائدها فـي المعارضـات الشـعريّة، وأرى قصـوراً فـي التعريـف الـذي أوردتـه مـن قبـل. إذ لـو صـحّ هـذا التعريـف لكـان معظـم الشـعر العربـيّ مـدرجاً فـي بـاب المعارضـات الشـعريّة. وهـذا غيـر صـحيح. والـذي أراه أن تضـاف شـروط أخـرى لاسـتكمال التعريـف، وأقتـرح تـوفّر أحد الشروط الإضافيّة الآتية:

أ- أن تكون القصيدتان في موضوع واحد.

ب- القصديّة ، وتصريح الشاعر اللاحق بأنّه يعارض السابق.

ج- أن يكتشف النقد تعالقًا نصيًّا ما بين القصيدتين.

ولعـلّ الشـرط الأخيـر هـذا أن يكـون هـو الأصـعب، وربمـا تطلّـب اكتشافه ضرباً من المغامرة.

هل حاولت هذه المغامرة؟

---

(١) ديوان إبراهيم ناجي ، دار العودة بيروت ،١٩٨٠م ، ص١٣.
(٢) المجموعة الشعرية ،ص ٥٤٢.
(٣) المجموعة الشعرية ، ص٢٢٨.
(٤) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ،د.مسعد العطوي :القسم الثاني /١٤٩٢.

أجيب: أجل

إنَّ إخلاصي لهذه التجربة الشعريّة الرائدة في الشعر السعوديّ جعلتني أُعيدُ النظر مرّة بعد أخرى في عدد من قصائده لعلي أظفر بما يكفي لأن أعدّ واحدة منها في باب المعارضات الشعريّة، ولكنّني لم أظفر. وقد تمخّضت محاولاتي عن استخلاصات في هذا الشأن، أرى أن أوجزها بالآتي:

١- لا شكّ في أن الشاعر العقيليّ مثقّف بثقافة شعريّة تراثيّة واسعة، وأن قريحته تستمدّ من ينابيع هذه الثقافة، ممثلة بعيون الشعر العربيّ الأصيل الذي حفظه واستظهره، فصار جزءًا من شخصيته الشعريّة.

٢- إنّ عناية شاعرنا بالشعر كانت منصبّة على أوزانه وقوافيه وموسيقاه في الدرجة الأولى، يلي ذلك اهتمامه بأبيات بعينها مِمَّا يحفظ، أمَّا اهتمامه ببناء القصيدة في موضوعاتها ووحدتها وتكامل مكوِّناتها فقد كان يأتي في الدرجة الأخيرة. ولهذا السبب كان التعالق النصّيّ بين قصائده والقصائد المظنون أنّه يعارضها شبه غائب.

٣- إنّ غياب الاشتباك الكبير بين قصائده والقصائد التي كتب على أوزانها وقوافيها، مع رغبته في أن يحضر شيء من تلك القصائد في قصائده، قد دفعاه إلى ضرب من استحضار شذرات من الجمل الشعريّة، أو إلى تضمين بيت أو أكثر، أو إلى إعادة صياغة مضمون البيت القديم في بيت جديد.

أمثّل لاستحضاره جملة شعرية بقوله:

يدعو لإحياء دين الله منفرداً إلاّ بحبل من الرحمن يعتصم[١]

فالشطر الثاني من هذا البيت يستحضر قول البوصيري في بردته المشهورة:

دعا إلى الله فلمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم
فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم ولاكرم[٢]

(١) المجموعة الشعرية ، ص ٤١-٤٩.
(٢) ديوان البوصيري، تحقيق: محمد كيلاني، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٤هـ ،ص ١٨١.

فالاعتصام بحبل الله تعالى هو ما أراد العقيلي إدماجه في نصّه على الرغم من أن التركيب لم يسعفه بإدخال (إلاّ) الاستثناء في أول الشطر الثاني من بيته. بينما جاء بيت البوصيري منسابًا متسلسلاً، ويشعر بالتعالق النصّيّ مع قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾[١]، ولأن هذا المعنى أثير لدى الشاعرين، فقد عادا وصاغاه في بيتين آخرين، فقال العقيليّ في مديح الملك عبد العزيز:

جنّبت شعبك منها كلّ كارثة بالله ثم برأي منك يعتصمُ[٢]

وقال البوصيريّ:

قرّت بها عين قاريها، فقلت له لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم[٣]

ومرّة أخرى تتبدّى فكرة الاعتصام بالله منسابة في بيت البوصيريّ، بينما حال دون هذا الانسياب ما في الشطر الثاني من بيت العقيلي من تقديم وتأخير.. فثمة رغبة في استحضارها على الرغم من تأبيّ تركيب الجملة الشعرية، ومع ذلك نستطيع أن نرصد التعالق النصّيّ بين بيتي العقيلي والبوصيري في الحالة الأولى، فعلى المستوى اللفظي لدينا:

البوصيري	دعا إلى الله	مستمسكون بحبل غير منفصم
↓	↓	↓
العقيلي	يدعو لإحياء دين الله	بجبل من الرحمن يعتصم

أمَّا المعنى في البيتين فواحدٌ. فالتعالق النّصيّ قائم على النفي المتوازي.

- **التضمين وتجنّب التعالق:**

وأمثّل للتضمين بقول العقيلي في قصيدته (ملحمة فلسطين) واصفاً الهجوم العربي على الجيش الإسرائيلي في حرب تشرين عام ١٩٧٣م.

سارت طلائعنا في إثرهم خببًا على زواحف بالفولاذ تدّرعُ
تطوي الثرى وتحسّ القوم عن كثب حسّاً وقد فرّ منهم ضعف من صُرعوا
(للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا)

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم (١٠٣).
(٢) المجموعة الشعرية ، ص٤١-٤٩.
(٣) ديوان البوصيري،ص١٨٦.

وصبّحتهم نسور الجوّ حائمةً في غارة عن رجوم الشهب تنصدع
في عارض زجل الأصوات تمطرهم صواعقاً من تلظّي وهجها قرعوا
(ذمّ ابن غوريون عينيه وقد طلعت سود الغمام فظنّوا أنها قزع)[١]

فالبيتان الثالث والسادس من شعر المتنبي، مضمّنان في هذه الأبيات، مع تعديل في البيت الثاني إذ حذف الشاعر كلمة (الدمستق)، وأثبت بدلاً عنها (ابن غوريون).

وملحوظ في البيت الأول منهما أنّه تضمّن قيمًا هي ليست من القيم الإنسانية في العصر الحديث، ومنها ما هو مستنكر قديمًا وحديثًا.. إذ ليس في أعراف الحروب في العصر الراهن السبي وقتل الأولاد، والنهب، وإحراق الزرع. فلم ضمّنه الشاعر العقيليّ في نصّه؟ وهل في هذا البيت، إذا تجاوزنا مضمونه، غير حسن التقسيم بين أجزاء البيت؟ يغلب على ظنّي أن هيمنة وقع هذه الأقسام في تواترها الموسيقي هو ما أملى هذا التضمين على شاعرنا المأخوذ بسحر وقع موسيقى الشعر العربيّ.

أمَّا البيت الثاني فيطرح ما لم يعد موجودًا البتة في عصرنا، إذ لا يختلط أسود الغمام بسرب من الطائرات على مراقب لديه المنظار الحربيّ، ثم كيف يأتي هذا البيت بهذا المضمون بعد بيت قبله يصف القصف الجويّ مشبّهاً بالصواعق المتلظيّة؟ إنّه القصّ واللصق تنجزه ذائقة متموضعة في البيت الواحد، بينما يعنى التعالق النصّيّ بما يذهب إليه النصّ القديم من مضطرَب أوسع في النصّ الجديد.

- **إعادة الصياغة/ النفي المتوازي:**

يقول العقيلي:

أقول وقد فاض لي مدمع ونار الأسى في الحشا تقرع
فلا الدمع يطفئ حرّ اللهيبِ ولا الدمع من حرّها يقلع[٢]

ويقول ابن الفارض:

فطوفان نوح عند نوحي كأدمعي وإيقاد نيران الخليل كلوعتي
ولولا زفيري أغرقتنيَ أدمعي ولولا دموعي أحرقتنيَ زفرتي[٣]

---

[١] المجموعة الشعرية ،ص٤٨٩.
[٢] المجموعة الشعرية ، ص٦٩٣.
[٣] ديوان ابن الفارض، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ص٤٧.

واضح أنّ نصّ الشاعر العقيليّ؛ هنا؛ ينظر إلى نص ابن الفارض.

فمن حيث المضمون: المضمون واحد في النصين: ثمة بكاء بدموع غزيرة، وثمة لوعة تتأجّج نارها.. وكلاهما مستمّران لأنّ أحدهما لا يقوى على إيقاف الآخر.

وعلى المستوى اللفظي، في البيت الأوّل:

ابن الفارض	طوفان، أدمعي	نيران، لوعة	إيقاد
↓	↓	↓	↓
العقيلي:	فاض ، مدمع	نار ، الأسى	تقرع

وفي البيت الثاني:

ابن الفارض	لولا	الزفير	أدمعي، لولا، دموعي	
↓	↓	↓	↓	
العقيلي:	لا	حرّ	الدمع لا	الدمع

فعلى المستويين اللفظي والدلالي ثمّة تعالق نصّيّ قائم على النفي المتوازي الذي لم يؤّد فيه التعالق إلى أيّ حوار بين النصّين. وكلّ ما أنجزه النصّ الجديد أنّه عرّى البيتين من الخيال، ونفى الصور التي تضمّناها.

- **استلهام الأعلام:**

استلهم الشاعر العقيليّ أسماء الأعلام بأنواعها المختلفة، لاسيما أعلام الرموز من الشخصيّات التاريخية (الصدّيق، عمر، خالد، عبد العزيز، ديجول.. الخ)، وأعلام الأمكنة (مكّة، جازان، البيت الحرام، فلسطين، الجزائر، السرّ، سان فرنسيسكو، انطلياس،...)، وأعلام الوقائع التاريخية (عموريّة، بيعة الرضوان، دير ياسين،...).

ومن أمثلة استدعائه الأعلام قوله:

وراية يستظلّ النصر مبتهجاً في ظلّها وسنى التوفيق يبتسم
كأنها راية الصديق يوم بدت خفّاقة ودواعي الشرك تنهدم[١]

[١] المجموعة الشعرية الكاملة ، ص٥٦.

هنا يستدعي العقيليّ الرمز التاريخيّ الفذ (أبا بكر الصديق) رضي الله عنه، بآلية استدعاء تستخدم لقبه (الصديق) الذي خصّه به الرسول صلّى الله عليه وسلم. فهو لم يستدعه باسم (عبد الله)، ولا بـ (ابن أبي قحافة)، ولا بـ (أبي بكر)، ولا (بخليفة رسول الله(صلى الله عليه وسلم) بل استدعاه بصدّيقيّته التي تفيض بطيف واسع من المواقف والفضائل وبذلك أتاح مساحة واسعة للتعالق النصّيّ وزاد في هذه المساحة إضافة اللقب إلى الراية التي عقدها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأسامة بن زيد، وأصرّ أبو بكر الصدّيق على ألاّ يحلّها، بقوله المشهور: " كيف أحلّ راية عقدها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)"، وذلك في أحرج الأوقات التي مرّ بها الإسلام إبان حرب الردّة... وإذا ما أخذنا التماثل بين تلك الراية وبين علم المملكة العربيّة السوريّة فإنَّ مساحة التعالق تصير بحجم مجلّدات ضخمة.. وواضح أن الشاعر العقيليّ قد أقام هذا التعالق وفي مخزونه الثقافي كلّ هذه المعطيات. ولذا جعل اللقب (الصدّيق) بين الراية وبين انهدام الشرك، مؤكّداً على اللحظة التاريخية الحاسمة التي واجهها الصدّيق بحكمته وحزمه، ويقابله في التعالق النصّيّ الملك عبد العزيز الذي خاض ظروفاً حرجة أيضاً، وحقق توحيد أطراف المملكة، والتقابل كالآتي:

راية رسول الله ← الصدّيق ← النصر في حروب الردّة وتوحيد الأمّة

مبادئ الإسلام وعَلَمه ←الملك عبد العزيز← توحيد المملكة العربية السعودية

وهو تقابل متّفق في المكان ، مختلف في الزمان ، فالنفي في تعالقه جزئيٌّ، ويحمد للشاعر العقيليّ فيه ما كثفه من مضمونات تاريخيّة وجغرافيّة وعقيديّة.

- **الخاتمة:**

وفي ختام هذه الدراسة التي قاربت التعالق النصّيّ في المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر العقيليّ، ووجدت في معظم ما قاربته أن التعالق النصّيّ لنصوصه مع النصوص التراثيّة إنّما يقوم على النفي المتوازي والنفي الجزئيّ، فالشاعر العقيليّ كان مواكباً للظروف التاريخيّة والسياسيّة المهمومة بوحدة الصف ووحدة الكلمة، وهذا ما ترك أثره في إنتاجه الشعريّ الذي جاء هو الآخر متبنّياً ما كان منجزًا، ومتّفقًا معه، ومؤكّدًا عليه، ومُعزِّزًا لرؤيته الجامعة فكان شعره في هذا السياق وعلى نحو متوازٍ، يخلص للمتّفق والمختلف.

*****

- **المصادر :**

العقيلي، محمد بن أحمد، المجموعة الشعرية الكاملة، الرياض ١٤٢٣هـ.

- **المراجع:**

(١) آل حسين، د. محمد بن سعد، المعارضات في الشعر العربي، دار عبد العزيز محمد آل حسين للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٢) إبراهيم ناجي ، ديوانه ، دار العودة بيروت ،١٩٨٠م .

(٣) الأعشى، ديوانه ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

(٤) البوصيري، ديوانه ، تحقيق: محمد كيلاني، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٤هـ

(٥) الثعالبي، يتيمة الدهر، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج١.

(٦) الخنساء ديوانها، نشرة حمدو طماس.دار المعرفة ،بيروت ،لبنان ،ط ٢ ، ١٤٢٥هـ ـــــ٢٠٠٤م.

(٧) الشافعي، خالد بن ربيع، شعر محمد بن أحمد العقيلي (دراسة تحليلية)، نادي جازان، السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ/، ٢٠٠٤م.

(٨) شوقي، أحمد، الشوقيات، راجعه وضبطه د. يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ج١.

(٩) العطوي ، د.مسعد ، أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية :القسم الثاني /١٤٩٢.

(١٠) ابن الفارض، ديوانه، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

(١١) المتنبي، دار بيروت ودار صادر، بيروت، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.

(١٢) الهاشمي،د.علوي ظاهرة التعالق النصي في الشعر السعودي الحديث ، كتاب الرياض،العدد٥٢-٥٣ إبريل –مايو ١٩٩٨م

*****